وجد الحجة من القرآن نفسه بدأ بها، ولا يملك الإنسان إلا أن يعجب لبراعتهم فى مقابلة النصوص بعضها ببعض حتى يستخرجوا منها الحجة كما يعجب بدقتهم واستيعابهم، وإذا كانت الحجة فى حديث ذكره، كما يحتج بالشعر وبالنثر وبكلام اللغويين وأهل النحو، حتى إذا فرغ انتقل إلى آية بعدها مما فيه وجوه مختلفة متجاوزا الآيات التى لاخلاف فى قراءتها بين السبعة.

ويمتاز كلامه وشرحه بالوضوح والإيجاز مكتفيًا بأقل ما يقنع من الحجج، وإذا كان له اختيار ذكره بعد فراغه من عرض الوجوه المختلفة للقراءات الصحيحة.

ويمضى محقق الكتاب فى تحليل منهج المؤلف فيذكر أن عادته أن يبدأ كلامه بقوله: «قرأ فلان وفلان كذا وحجتهما كذا، وقرأ الباقون (يريد بقية السبعة) كذا، وحجتهم كذا»، فإن كان هناك أكثر من حجة قال: وحجة أخرى، وعرج على شرح حججه معتمداً على المعنى حينا، وعلى ورود الكلمة كذلك فى موضع آخر من القرآن الكريم حينا آخر، أو على حجة نحوية أو صرفية أو لغوية أو بيت من الشعر أو جملة من حديث أو كلام من يحتج به، وقلما يعزو الحديث إلى رواية أو يعزو الشعر إلى قائله، حتى إذا اكتفى انتقل إلى آية أخرى حتى نهاية السورة.

وقد قطع سرده فى سورة البقرة بعد الآية الحادية عشرة ليشرح مذاهب القراء فى الأداء عند اجتماع همزتين، فعقد بحثًا عنوانه: باب الهمزتين، حتى إذا انتهى منه وصل كلامه من حيث انقطع، وربما ألحق كلامه فى آخر بعض السور بخاتمة عنوانها (الياءات)، يبين فيها مواقف القراء المختلفة من الياءات فى آخر الأسماء المنقوصة أو الأفعال الناقصة أو ياء المتكلم حذفا أو إثباتًا فى الوصل أو الوقف أو في كليهما.

ومن يقرأ الكتاب يشعر أن المؤلف متمكن فى فنه تمكنه فى علوم اللغة والأدب ورواية الشعر، موجز فى عباراته، واثق أنه يخاطب محصلا فى هذا الفن مشاركًا فى بقية الفنون العربية عامة، ولذلك ترك الإسهاب والتطويل والتقديم للكتاب.

ومن منهجه فى كتابه هذا أنه حين يورد الحجج يعقب عليها بالقاعدة يصوغها فى إيجاز، كما نرى فى كلامه على الآية ﴿قال تزرعون سبع سنين دأبًا﴾ بعد ذكره قراءة دأبا بفتح الهمزة وإسكانها، قال: